الذي استدعاه إلى مجلسي، ليس إلا شخصيات هذه الرواية، التي أعجبها التماثل بينها وبين مناقب هذا الرجل، فاستخدمت سلطة الخيال، تسيطر بها على واقعي، وتجئ بهذا الرجل، من أقصى بقاع الأرض، وتهبط به على مقعدي. كان قد أطفأ لفافته فارتاحت أعصابي قليلا. تأملته وهو مايزال يرتدي قناعه الباسم، أحاول أن أهتدي إلى القواسم المشتركة بينه وبين شخصيات الرواية. على مشارف الستين، بني البشرة، له ملامح دقيقة، أكسبتها سنوات العمر المتقدم، رقة ورهافة، ومنحتها مسحة من الألفة والمودة. يرتدي سترة أنيقة بيضاء، وقميصا مزركشا، ينبئ بشباب القلب، ويضع في يده ساعة تشع بلون الذهب، دليل البسطة والرخاء. لو قابلته في وقت غير هذا الوقت، وبعيدا عن هذه القصة البوليسية التي تملأ رأسي بالخيالات المفزعة، لأعجبني مظهره الوديع، وارتحت لصحبته.

ـ أسمي البرتو.

مد يده لمصافحتي. وضعت يدي في يده وسحبتها دون أن أذكر له اسمي. فقد قررت أن أترك له المكان، وأنتقل مع كتابي إلى مكان آخر. وقبل أن أنهض من مقعدي، جاءت هي راكضة، تخفق بذراعيها العاريتين، وصدرها النافر الراقص. ترتدي قميصا صيفيا وبنطلونا من نوع الجينز. حسبتها ابنته، ولكنه قدمها لي قائلا:

ـ روزيتا. زوجتي. إنها خلاسية مثلي.

كان ما رأيته شيئا لا ينتمي إلا لعالم جميل مدهش، أكثر بهجة من عالمنا. عالم اختفى منه اللصوص والقتلة، كما اختفت منه أمراض الوحدة والكآبة. وما هذه الابتسامة، التي تحمل وعدا وبشارة وفرحا، وهاتان العينان النجلاوان اللتان تملآن نصف الوجه، وترسلان إشعاعا ينفذ إلى القلب، إلا علامة على ميلاد هذا العالم الجديد الجميل. جلست ذاهلا أعلق بصري بها، وأذوب في